العلاقة بين معتقدات الصوفية والغلاة في إيران

محسن كاشاني
طالب دكتوراه، كلية التاريخ، جامعة الأديان والمذاهب، قم، إيران
mohsenkashani72797@gmail.com
حميد رضا رضائي
باحث دكتوراه، كلية التاريخ، جامعة الأديان والمذاهب، قم، إيران
h.r.rezaei@urd.ac.ir
محمد مهدي صباغيه يزد
طالب دكتوراه، كلية الاديان، جامعة الاديان والمذاهب، قم، إيران
mm.sabbaghiayazd@chmail.ir

The Relationship Between the Beliefs of Sufis and Ghulat in Iran

Mohsen Kashani
PhD student , Faculty of History , University of Religions and Denominations , Qom , Iran
Hamid Reza Rezaei
Doctoral researcher , Faculty of History , University of Religions and Sects , Qom , Iran
Muhammad Mahdi Sabbaghia Yazd
PhD student , Faculty of Religions , University of Religions and Sects , Qom , Iran

الملخص:-

إن فرقتي الصوفية والغلاة هما من الفروع الداخلية للشيعة، واللتين ظهرتا في أوائل القرن الثاني الهجري. من خلال فحص الروايات التاريخية حول الطوائف والأديان في إيران، يمكن فهم أن انتشار الغلات والصوفية في مختلف المجالات كان في تزايد. تكمن ضرورة هذا البحث في أنه من خلال دراسة العلاقة بين تعاليم الغلات والصوفية في إيران، تتضح نظرة جديدة عن المشتركات والعلاقات والتفاعلات بين هذين الفرعين من الشيعة، ويتضح أيضاً أنه لا يمكن نسبة هذين التيارين إلى الإمامية، وهو ما يشكل أحد أهداف هذا البحث. أما الهدف الآخر فهو إثبات التقارب الفكري بين هذين التيارين. في هذا البحث الحالي الذي جُمع بطريقة مكتبية وبأسلوب وصفي - تحليلي، تم السعي لتناول العلاقة بين معتقدات الصوفيين والغاليين، والتي لم تقدم من قبل مقارنة مشابهة بين معتقدات الغلات والصوفية.

الكلمات المفتاحية: المعتقدات الشيعية، الصوفية، الغلاة، الطوائف والأديان، إيران، الشيعة الإمامية، الروايات التاريخية.

Abstract:-

The Sufi and Ghulat sects are internal branches of Shiism, which emerged in the early second century AH. By examining historical narratives about sects and religions in Iran, it can be understood that the spread of Ghulat and Sufism in various fields was increasing. The necessity of this research lies in the fact that by studying the relationship between the teachings of Ghulat and Sufism in Iran, a new view of the commonalities, relationships and interactions between these two branches of Shiism becomes clear, and it also becomes clear that these two trends cannot be attributed to the Imamiyyah, which is one of the objectives of this research. The other objective is to prove the intellectual convergence between these two trends. In this current research, which was collected in a library manner and in a descriptive-analytical style, an attempt was made to address the relationship between the beliefs of Sufis and Ghulat, which has not previously presented a similar comparison between the beliefs of Ghulat and Sufism.

Key words: Shiite beliefs, Sufism, Ghulat, sects and religions, Iran, Imami Shiism, historical narratives.

المقدمة:

إن أبرز السمة للأديان السماوية الكبرى هي امتلاكها لتاريخ واضح ومتاح للجميع. هذه الأديان اتبعت نهجًا وأساليب محددة لتحقيق أهدافها، وكان ذلك محط اهتمام المؤرخين الذين كتبوا مؤلفات قيّمة حول تاريخ ومعتقدات هذه الأديان. (الشيبي، صفحة ٢٨، ١٣٨٥ ش).

تكمن أهمية دراسة تاريخ وأسباب نشوء الغلاة والتصوف في إيران في أن هذين الفكرين أثّرا بشكل كبير على العادات والمعتقدات الدينية للإيرانيين. فلذا، فإن معرفة تاريخ وظروف نشأة هاتين الفرقتين، بالإضافة إلى فهم التأثيرات الفكرية والعقائدية التي كانت تتداخل مع المدارس الفكرية الأخرى، تعتبر ضرورية للأبحاث الأكاديمية العميقة.

إن قيمة البحث في التصوف والغلاة في إيران لا تحدد و لم تقتصر فقط على معرفة الأسباب والأحداث وتاريخها، بل تشمل أيضًا دراسة وفحص تاريخ وأفكار وعقائد كل منهما بدقة، حيث يمكن توضيح موقف كل منهما بالنسبة للمذاهب الأخرى. إن تاريخ كل معتقد ديني يمكن أن يكشف بطبيعة الحال عن حقيقته أو زيفه.

كان الشيعة على مر التاريخ يواجهون العديد من التحديات والقيود. بعض المؤلفين قاموا بدمج معتقدات المذهب الشيعي مع تعاليم الغلاة، وكان هذا النوع من الحكم يهدف إلى إدانة عقائد الشيعة. هؤلاء الكتّاب نسبوا عقائد فرقتي الصوفية والغلاة إلى جميع الشيعة بما في ذلك الشيعة الإمامية. وقد تطرف البعض في هذه الادعاءات إلى حد اعتبار التعاليم الغالية كأساسيات عقائد الشيعة.

خلفية البحث:

قام العديد من المؤلفين بكتابة مؤلفات عديدة حول الغلاة والتصوف، وتاريخ ومعتقدات هاتين الفرقتين. ومن بين هذه الكتب:

- "الإباحية في التصوف الإسلامي" للمؤلف مهدي الماسي.
- "أصول ومبادئ التصوف والعرفان" للمؤلف أحمد محمدي ملايري.
- "التصوف الإسلامي" للمؤلف حسن عاصي.

- "ردّ التصوف وردّ كلمة الإشراق" للمؤلف موسى جوان.
- "الصوفية من وجهة نظر علماء الشيعة" للمؤلف سعيد ملك محمد.
- "الشبك من فرق الغلاة في العراق" للمؤلف أحمد حامد صراف.
- "العلويون بين الأسطورة والحقيقة" للمؤلف هاشم عثمان.
- "الغلوّ والفرق الغالية في الحضارة الإسلامية" للمؤلف الدكتور عبد الله سلوم السامرائي.

تناول مؤلفو هذه الأعمال غالبًا دراسة تاريخ ومعتقدات الغلاة أو التصوف بشكل منفصل، دون الإشارة إلى العلاقة بين الفكرين وتأثير كل منهما على معتقدات الإيرانيين. يتميز البحث الحالي بتناوله للمعتقدات المشتركة بين الغلاة والصوفيين في إيران.

منهج البحث

يعتمد منهج البحث في هذا المقال على النهج الوصفي التحليلي، حيث يستند إلى الدراسات المكتبية وتدوين الملاحظات من المصادر المتعلقة بتعاليم ومعتقدات الصوفيين والغلاة في إيران، ويستخدم هذا المنهج في التحليل والدراسة المقارنة.

مصطلحات الدراسة

قبل الغوص في موضوعات هذا البحث، من الضروري شرح وتوضيح بعض المصطلحات لخلق مزيد من التماسك الذهني للقارئ من خلال تقديم شرح للألفاظ بمعانيها اللغوية والاصطلاحية:

الغلو: في اللغة، يُعرّف الغلو بمعانٍ متعددة تشمل: الإفراط، التزاحم، التجاوز، والمبالغة. وفي الاصطلاح، يعني الإفراط في الدين أو تعدي الحدود المحددة له (الأصفهاني، ص ٣٦٤، ١٤٤٠ ق).

التصوف: من الناحية اللغوية، يُنسب التصوف إلى الصف، حيث يُقال إن الصوفيين يقفون في الصف الأول أثناء العبادة ويحضرون الصلاة قبل الآخرين. وقد أطلق عليهم هذا الاسم بسبب مرونتهم في منهجهم وقبولهم للحجج القوية (ابن منظور، ج٩، ص١٩٩).

المذهب: في اللغة، يشير المذهب إلى المكان الذي يُذهب إليه أو العقيدة التي يتبناها الشخص. وفي الاصطلاح، يُشير المذهب إلى إحدى الفرق أو الطوائف الداخلية في دين معين (معلوف، ج ٢، ص ١٣١٢، ١٩٠٧ م).

النتائج البحثية

خلفية نشوء التصوف

هناك آراء متعددة حول نشوء التصوف:

أ) **النظرة الغربية:** كثير من المؤلفين الغربيين يرون أن مجموعة التعاليم النظرية والعملية في التصوف الإسلامي مأخوذة من خارج نطاق الإسلام ومن مصادر غير إسلامية. (كريمي، ص ١٠٩، ١٣٨١ ش). فالتعامل المتعالي للصوفيين مع الدنيا، والمحبة لله ومبدأ الوجود، والذكر، والتجرد والتوكل، كلها تم تعلمها من الرهبان المسيحيين. (اليثربي، ص ٧١، ١٣٩٢ ش). هذه النظرة تُشير أكثر إلى مراحل التطور والنمو الروحي للصوفية التي تعتبر متأثرة بالثقافات الأجنبية. (المدرسي، ص ١٥٥ و ١٧٧، ١٤٢٦ ق).

ب) **النظرة الهندية:** وفقًا لرأي آخر؛ يُعتقد أن الهند كمنطقة قديمة كانت مكانًا مناسبًا لتطوير المعتقدات العرفانية. لذلك، فإن أساسيات التصوف تم تطويرها في قالب المدارس الفلسفية والفكرية الهندية. (البيروني الخوارزمي، ص٢٠، ١٣٣٢ش).

بعض السلوكيات مثل التقشف الشديد تُشبه التقشف في "البراهمة"، حيث يُعتقد أن الانفصال عن الارتباطات الدنيوية يؤدي إلى النجاة في الحياة الأخرى. لذا، فإن تحمل المعاناة والصعوبات في الحياة الدنيوية هو دائم، وللخلاص من هذا العالم الفاني، ليس هناك سوى التقشف النفسي. الفلسفة الدينية جينيه وسانكيه، مثل البرهمية، مبنية من حيث النظرية على التشاؤم تجاه الحياة المادية. (أباذري وآخرون، ج ١، ص ٦٥، ١٣٧٢ ش).

مصطلح "نيرفانا" في التفكير والعقائد الهندية يُمثل وصول الروح إلى مقام عالٍ، حيث يفقد الأفراد شخصيتهم الفردية ويتحدون مع الروح الكلية والذات المطلقة (براهمه).

(رادهاكريشنان، ج ١، ص ١١٨، ١٣٩٣ ش) ويمكن رؤية هذا التفسير في عقائد الصوفية الإيرانية كذلك. (زرين‌كوب، ص ٢٨، ١٣٨٣ ش).

من المثير للاهتمام أن العلماء الغربيين والمستشرقين أبدوا اهتمامًا كبيرًا بالبحث في موضوع التصوف. الروس، سواء قبل الثورة البلشفية عام ١٩١٧ أو بعدها، أجروا العديد من الأبحاث حول التصوف الإسلامي. من دراسة الأعمال الغربية التي كتبت في مجال التصوف، يمكن أن نستنتج أن معظمها حاولت ربط التصوف الإسلامي الإيراني بعقائد الإغريق. (زرين‌كوب، ص ١١، ١٣٨٣ ش).

خلفية نشوء الغلاة:

على الرغم من أنه لا يمكن تحديد تاريخ دقيق لظهور الغلو والغلاة، فإن أثار هذه الأفكار يمكن تتبعها في السنوات الأولى من تاريخ الإسلام. (الفياض، صفحات ٨٨-٨٩، ١٣٨١ ش). في هذا السياق، يكتب الشهرستاني أن «عبدالله بن سبأ» هو أول من نشأ عقائد غلوّية. هناك احتمالان بشأن نسب «عبدالله بن سبأ:

أ) أن عبدالله بن سبأ كان يهوديًا ومن بلاد اليمن. (أمين، ج ٣، صفحة ١٧٧، ١٩٩٣م).

ب) وفقًا لنقل «الأشعري»، فإن هذا الشخص كان يعرف باسم «عبدالله بن وهب الراسبي الهمداني». (الأشعري القمي، صفحة ٢٠، ١٣٦١ ش). بناءً على هذا النقل، كان عبدالله مهاجرًا من فلسطين إلى اليمن، مما يعني وجود أصل عربي لعبدالله.

من مصادر أخرى التي تنسب الغلو إلى الشيعة، شخص يُدعى «أحمد بن الحسين» المعروف بـ«دندان». كان أحمد من الدعاة المهمين في الإسماعيلية. وكان مسجونًا مع «عبدالله بن ميمون»، الذي يُعتقد أنه مؤسس الإسماعيلية. (ابن النديم، صفحة ٢٤٥، ١٣٥٠ش).

وفقًا للمصادر الشيعية، تم ذكره كغالٍ، يُعتقد أن وفاة «دندان» كانت في القرن الثالث. ذكر النجاشي أن أهل قم قد ضعفوا هذا الشخص واعتبروه غاليًا. (النجاشي، صفحة ٥٦، ١٣٩٤ ش).

والده «الحسين بن سعيد الأهوازي» وعمه «الحسن» كانا مقبولين لدى الأئمة عليهم السلام. في بعض المصادر، يُذكر باسم «محمد بن حسين». (ابن النديم، صفحة ٢٣٩، ١٣٥٠ ش). وبعضهم ذكر أنه كاتب أبو دلف (توفي ٢٨٠ هـ)، الذي انضم إلى فرقة الإسماعيلية. (لوييسن، صفحة ٨٤، ١٣٦٣ ش).

أسباب انحراف الغلاة والتصوف:

وفقًا للأبحاث والدراسات حول المذاهب والفرق الإسلامية، تم تحديد عدة أسباب لابتعاد الغلاة والتصوف عن التعاليم الحقيقية للإسلام، وأبرز هذه الأسباب هي:

الجهل والضعف في أصول الدين:

الأمية هي العامل الرئيسي لهذا الجهل، الذي يمنع التحليل السليم للسلوكيات، مما يؤدي إلى سوء فهم روايات المعصومين. بالإضافة إلى ذلك، الشغف الشديد قد يؤدي إلى الغلو تجاه بعض الأفراد، حيث يرفعهم الغالي فوق المستوى العادي لهم. بعض الناس الساذجين يرون كرامات من الأئمة، ولأنهم لم يروا مثيلًا لهذه الكرامات من الناس العاديين، يعتقدون أن صاحب هذه الكرامات يمتلك مقامًا أعلى بكثير من المقام البشري، فينغمسون في الغلو ويعتقدون بأن روحًا إلهية تسكن في الأئمة.

في رواية عن الإمام الرضا عليه السلام يقول: «... فَكَمَا يُحْتَرَمُ أَحَدُ الْمُلُوكِ الَّذِينَ يُنْتَظَرُ فَضْلُهُم وَيُؤَمِّلُونَ نَوَالَهُم... كَذَلِكَ هَؤُلَاءِ لَمَّا وَجَدُوا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ (ع) عَبْدًا أَكْرَمَهُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ فَضْلَهُ وَيُقِيمَ حُجَّتَهُ فَصَغَّرُوا خَالِقَهُمْ أَنْ يَكُونَ جَعَلَ عَلِيًّا لَهُ عَبْدًا وَأَكْبَرُوا عَلِيًّا.»... (المجلسي، ج ٢٥، صفحة ٢٧١، ١٤٠٣ ق).

من خلال التحليل يمكن القول إن من الأسباب الرئيسية للغلو هو نقص المعرفة الكافية حول مراتب الربوبية والتوحيد، بالإضافة إلى السذاجة التي تجعل الأفراد يقعوا في الغلو.

بعض البشر يرفعون الأشخاص إلى مرتبة الألوهية، ليس فقط في الأديان، بل أمثال الفراعنة أيضًا كانوا يُعَظَّمُون بسبب ضعف إيمان الناس. كان المصريون يعتبرون ملوكهم، الذين كانوا يُدْعَوْنَ فراعنة، آلهة الشمس وأبناء الآلهة، وحتى الآلهة أنفسهم. (مبلغي آباداني، ج ١، صفحة ٩٩، ١٣٧٣ ش).

تركيب العقائد الدينية والسياسية:

في دراسات علماء الأديان، يحتل "المنجي المنتظر" مكانة مميزة، مما أدى إلى تبني الكثير من الأفكار الغالية حول المنجي المنتظر بين المسلمين الإيرانيين. استخدم قادة الغلاة والصوفيين هذا الاعتقاد بالمنجي المنتظر كأداة عقائدية وسياسية لتحقيق مصالح الجماعات التي يقودونها.

كان هؤلاء القادة يدركون تمامًا أن هذا المبدأ يمكن أن يؤثر بعمق على عواطف الناس. لذلك، قاموا بتضخيم هذا التأثير على الروح والنفس والمشاعر لجذب المزيد من الأتباع للمشاركة في الحركات. (الذهبي، ج ٥، ص ٥١، ١٤١٧ ق). أحد هؤلاء القادة كان المغيرة، الذي ادعى المهدوية في عصر الإمام الباقر عليه السلام، وحاول تحفيز مشاعر الشيعة لإثارتهم على الثورة ضد الحكم العباسي. (صفري فروشاني، ص ٢٤٥، ١٣٩٢ ش). ليس هناك شك في أن دمج العقائد الدينية والسياسية مثل المهدوية كان موجوداً في معظم الحركات الشيعية.

العلاقات التجارية بين إيران والدول الأخرى:

كان الإيرانيون المسلمون مضطرين للتجارة مع الأمم غير المسلمة، مما أدى إلى انتقال الثقافات والأفكار من الأمم الأخرى إلى العادات الاجتماعية والمعتقدات الإسلامية، مما أثر بشكل أكبر على الطوائف المنحرفة، حيث كان قادتهم يسعون دائمًا إلى إيجاد طرق لجذب أكبر عدد ممكن من الأتباع لتحقيق مصالحهم. نتيجة لذلك، كانت الطوائف المنحرفة مثل الصوفيين والغلاة الأكثر تأثرًا.

يعتقد البعض أن فكر الغلاة تأثر بالفكر الغنوصي (الفكر الغنوصي هو تيار فكري قديم يؤكد على الوعي بالأسرار الإلهية) في الإسلام، وباعتبار أن هذا الفكر غير إيراني وأصله عربي، يُعتقد أنه له جذور في المسيحية. بعض المفكرين المسلمين مثل الغزالي وابن خلدون أشاروا إلى هذا التشابه (بسبب هذه العلاقات التجارية). (الشهرستاني، ج ١، ص ١٤١).

يعتقد بعض المؤرخين أن التعاليم النظرية في إيران تم تبنيها من خارج نطاق الإسلام ومن مصادر غير إسلامية. على سبيل المثال، تعلم الصوفيون الأوائل الزهد من الرهبان المسيحيين وتعاليم مثل وحدة الوجود والفناء من العارفين الهنود. (اليثربي، ص ٧١،

١٣٩٢ش). الغلاة أيضًا تبعوا هذه التعاليم. كانت معظم رحلات التجار المسلمين إلى دول أخرى أو غير المسلمين إلى البلاد الإسلامية تجارية بحتة.

نقص المعرفة الصحيحة بكرامات الأئمة عليهم السلام :

بعض الأفراد قصيري الأفق، من جهلهم وقلة فهمهم، اعتقدوا أن أصحاب الكرامات لا يمكن أن يكونوا مخلوقين وأنهم يتجاوزون حدود المخلوقات. في هذا السياق، روى الإمام الرضا عليه السلام أن بعض الناس بدون بصيرة ومعرفة كانوا يرون كرامات الأئمة عليهم السلام ويعتقدون أن من يقوم بهذه الكرامات يمتلك مكانة وقوة أعلى من البشر، مما أدى إلى الاعتقاد بإلوهية الأئمة أو حلول الروح الإلهية فيهم. (موسوي بجنوردي، ج١، ص٣٧٣، ١٣٨٤ش). بالطبع، يجب ملاحظة أن الأئمة كانوا يُظهرون كراماتهم لأفراد موثوقين من أتباعهم، ولكن نقل هذه الكرامات أدى إلى انتشار الأفكار الغالية بين بعض الجهلة. (صفري فروشاني، ص٤٣، ١٣٩٢ش).

الشعور بالذنب:

عدم نصرة الشيعة لأهل البيت عليهم السلام في حادثة كربلاء المؤلمة دفعهم إلى تعويض أخطائهم، مما أدى إلى تفريطهم وانضمامهم إلى فئة الغلاة. (الشيبي، ص١٢٦، ١٣٨٥ش). نظرًا لأن الإيرانيين كانوا متهمين بالمبالغة في تقدير ملوكهم قبل الإسلام، فإن الإيرانيين الذين تحولوا إلى الإسلام، على الرغم من أنهم أصبحوا مسلمين ظاهريًا، إلا أنهم في أعماق قلوبهم كانوا يحتفظون ببعض التعلق بالمعتقدات أو الخرافات القديمة.

كانوا يعتبرون ملوكهم مقدسين ومنزلتهم كانت بعناية إلهية خاصة، وكانوا يعتقدون أن الله قد رضى بأن يمنح هذه المنزلة لعائلة معينة. هذه الخلفية الفكرية جعلت الإيرانيين ينسبون هذه الفضيلة إلى الأئمة الشيعة، مما أدى بهم تدريجيًا إلى رفع الأئمة إلى مرتبة الألوهية والخالق. (الفياض، ص٧٨، ١٣٨١ش).

قرابة المعتقدات الصوفية والغالية في إيران الاعتقاد بالحلول ووحدة الوجود في المعتقدات الصوفية ومعظم فرق الغالية في التشيع في إيران، يتم استخدام مصطلح "الحلول" للإشارة إلى حلول اللاهوت (العالم العلوي) في الناسوت (العالم السفلي). (موسوي

بجنوردي، ج ٨، ص ٥٥، ١٣٨٤ ش) ويعتقدون أن روح الله قد حلت في إنسان (مثل: نبي، إمام) بحيث أصبح واحداً معه. (في النهاية، يتحقق الحلول والاتحاد في نفس المصطلح) ويتم جمعه في وجود واحد.

في الأديان البدائية، وخاصة في الأديان الهندية، والمصرية واليونانية القديمة، كان هذا الاعتقاد موجوداً حيث يفسر على أنه "تجسيد الله في الإنسان". (بدوي، ج ٢، ص ٥٩، ١٩٧٣ م) وفي المسيحية أيضاً، يظهر هذا الاعتقاد حيث يعتقد أن روح الله قد تجسدت في روح السيد المسيح وحلت فيه. (حامد الصراف، ص٥٨).

في الحركات الصوفية الأولى، كان التقشف والعبادة الزائدة وترك الدنيا جزءاً من الإسلام ومن آداب الرهبانية، والذي بعد القرن الثالث الهجري أصبح يُعرف بـ "الفناء في الله". (غني، ص ٣٢، ١٣٨٠ ش). تحليلًا يمكن القول أن أول تحول في التفكير الصوفي وبعض فرق الغالية في إيران بعد اعتناقهم لتعليم الفناء كان الابتعاد عن الدنيا والعزلة عن المجتمع، وهو نهج لا يوجد له مكانة في الإسلام.

إحدى مخاطر الاعتقاد بالفناء هو أن بعض قادة الصوفية والغالية بدلاً من الابتعاد عن الدنيا، اتجهوا نحو التفكير الذوقي والعرفاني دون أي سبب وجيه، واعتبروا التقشف وغرضهم الأساسي من العرفان والمعرفة. خطر آخر هو أن التهجد كان يُعتبر ضرورياً للوصول إلى مقام الفناء والاتحاد. جامي في هذا الصدد يقول: "أول من تكلم عن الفناء والبقاء من الصوفية كان أبو سعيد الخرّاز الذي كان تلميذ محمد بن منظور الطوسي ومعاصراً للجنيد". (جامي، ص ٧٣، ٨٨٣ ق).

إدعاء الألوهية للأئمة عليهم السلام من قبل قادة الصوفية والغالية في إيران:

الشلمغاني وفضل الله الحروفي، اللذان كانا من قادة الصوفية والغالية، قد استخدموا ادعاء الألوهية للأئمة المعصومين عليهم السلام لتحقيق أهدافهم. (شكرخدايي، ص٥٢، ١٣٩٦ش) ورفعوا الأئمة عليهم السلام إلى مستوى الربوبية والألوهية. ورغم أنه في حالة الحلاج، قد نُسب إليه ادعاء الألوهية من قبل أنصاره وأتباعه، إلا أنه لم يعلن هذا الادعاء صراحةً، بل طابق أقواله بحالاته ومقاماته العرفانية. (ماسينيون، ص١٥٧، ١٣٩٣ ش).

وفي فترة محاكمة الحلاج، كان ادعاء الألوهية والربوبية مثار نقاش بين مشايخ الصوفية، حيث كان البعض يدعم ادعاء ربوبية الحلاج والبعض الآخر ينكره. (يوسف پور، ص ١٥٢، ١٣٩٥ ش). وأيضاً أشار البعض إلى رسائل الحلاج التي كتب فيها أسماء مثل: حجة الحجج، رب الأرباب، خالق السحاب، المتصور في كل صورة... وقد اعترف الحلاج بهذه الرسائل لكنه أنكر ربوبية نفسه. (الشيبي، ص ٢١٤، ١٣٨٥ ش).

الإباحية في الأحكام والشريعة من قبل الغالية والصوفية في إيران:

القادة الذين كانوا يرون تحقيق منافعهم المادية فقط من خلال نشر الفساد والفحشاء وتخفيف مظاهر الدين والمذهب، لم يترددوا في فعل أي شيء لتحقيق ذلك. الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، الذي كان من أهم أوامر الإسلام ومن واجبات الأنبياء والأئمة والأولياء، قد تعرض في بعض الأحيان لهجوم قليل الدين أو الملحدين. ومع تلاشي هذه الفريضة، استغل قادة التصوف والغالية هذا الوضع وقاموا بنشر الإباحية لتحريف الأفكار لتحقيق رغباتهم النفسية. (الأشعري، ص ٢٨١، ١٩٨٧ م).

الإمام الباقر عليه السلام في حديث يعتبر أن سبب هذا التهاون هو حب الدنيا والانتهازية، ويقول: "في آخر الزمان، يكون هناك قوم من المرائين الذين يظهرون تلاوة القرآن والعبادة، هؤلاء الجاهلون الذين لا يعتبرون الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجبًا إلا عندما لا يكون لديهم ضرر منه". (الكليني، ج ٥، ص ٥٥، ١٤٠١ م).

الغالية والتصوف مع نشر الاعتقاد بالتناسخ، قد تعرضوا في معتقداتهم إلى معاد، حيث نفوا القيامة والحساب والجنة والنار، وبهذا فسحوا المجال للقيام بأي فعل في هذا العالم، ومع الاعتقاد بالتناسخ، نشروا الإباحية وبرروا ذلك بأشكال مختلفة. (الحلي، ص١١٢، ١٣٨٦ ش).

وبهذا الهجوم، تعرضوا للتوحيد والنبوّة التي هي أساس الإسلام، ورفعوا قادتهم إلى مقام الألوهية وخلقوا آلهة متعددة لتحقيق أهدافهم. من خلال حلول روح الرسول محمد صلى الله عليه وآله وسلم في الأئمة عليهم السلام ثم في قادة الغالية، وجهوا أكبر ضربة اعتقادية للتوحيد والمعاد الذي هو من الأصول الثلاثة للإسلام، وفي الحقيقة، وضعوا جميع أصول الشريعة في محل الشك. (بيدارفر، ص ٤٢، ١٣٧١ ش).

من الأمور التي تُعد جزءًا لا يتجزأ من آراء ومعتقدات الصوفية والغالية هو "الهروب من الشريعة". يقول كبار الفرقتين: "إن التقيد بأحكام الشريعة واجب على العوام (زرين‌كوب، تاريخ مردم إيران، ص١٦٢) أما الخواص وأهل الحقيقة، فحالتهم أسمى من أن يتقيدوا بالرسوم الظاهرة".

وبهذا الشكل، يرتبط هذا الهروب من الشريعة في الغالية والتصوف بدرجة القرب، وعند وصولهم إلى هذا المقام، تسقط عنهم التكاليف، لذلك عارض علماء مثل الشيخ الصدوق (ره) وصاحب "تبصرة العوام" (رازي) والعديد من العلماء الآخرين هذه المعتقدات. (آقا نوري، ص ٣٧٦-٣٧٥، ١٣٨٧ ش).

ادعاء المهدوية في آراء قادة الصوفية والغلاة في إيران:

هذا الادعاء بالمهدوية في بعض قادة الصوفية مثل "شاه نعمت‌الله ولي" كان غير صحيح وفي بعض قادة الغلاة كان مؤكداً. (همايوني، تاريخ سلسله‌هاي نعمت اللّهيه در ايران، ص١٢٢). فضل‌الله الحروفي (ت٧٩٦) مؤسس فرقة الحروفية كان أحد قادة التصوف الذي اعتقد بوحدة الوجود لكنه لم يُذكر له طريقة معينة. (شكرخدائي، عقائد حروفيه، ص٥٣).

بدأ في تفسير الأحلام في سن الخامسة عشرة، ووفقاً لأنصاره، وصل إلى مستوى عال حيث أطلق عليه "صاحب التأويل"، وقارنه البعض بالنبي يوسف عليه السلام. فضل‌الله الذي بدأ بدمج فكرة المهدوية مع قطب الصوفية، في عام ٧٨٦ أعلن دعوى المهدوية بسرية وأخذ البيعة خفية ليتمكن من الظهور في الوقت المناسب بسيفه وادعاء الخروج.

كان جوهر دعوة فضل‌الله أنه، مثل آدم عليه السلام وعيسى عليه السلام ومحمد صلى الله عليه وآله وسلم، هو أيضاً خليفة الله. (الشيبي، ص١١٧، ١٣٨٥ش) وتجمعت فيه جميع الأهداف الصوفية والشيعية حول إنقاذ العالم بالدم. (شكرخدائي، ص٥٣، ١٣٩٦ش).

اعتقاد الغلاة والصوفية بتحريف القرآن:

في القرآن الكريم، الذي هو كله كلام الله ومعجزة النبي صلى الله عليه وآله وسلم، لا يمكن أن يكون هناك أي تحريف على الإطلاق وستظل هذا غير محرفة إلى الأبد. ومع ذلك، في معتقدات بعض فرق الغلاة والصوفية، يعتبرون إبليس أكبر موحد في العالم ويعدونه إلى جانب النبي صلى الله عليه وآله وسلم كنموذج عالي للفتوة. (عين القضاة الهمداني، ص٩٧، ١٣٩٧ش).

هذا في حين أن الله (عزّ وجل) قد خاطب إبليس بصفة "رجيم" وأبعده عن رحمته، ولكن فكرة اعتذار إبليس كانت موجودة بين معاصري الحلاج. بعض الغلاة والصوفية في إيران خلال القرنين الرابع والخامس هجرياً كانوا يمجدون إبليس، منهم أبو العباس قصاب آملي وأبو القاسم گرگاني الذين يعتبرون عصيان إبليس ناتجاً عن فرط محبته. (عين القضاة الهمداني، ص ١٠٣، ١٣٩٧ ش).

بالتحقيق الدقيق في تاريخ نشوء الغلاة والتصوف في إيران، يمكن فهم أن طريقتهم وتعاليمهم، التي هي خليط من الإسلام والعادات المختلطة والأديان الشرقية مثل الهندوسية والبوذية، تأثرت بالتدريج بالتجارة والعلاقات بين الإيرانيين وغير الإيرانيين؛ ونتيجة لذلك، تم استيراد تعاليم مثل التقشف، ترك الدنيا، والاعتقاد بالتناسخ. هذا الاقتباس من الثقافات والأديان الأخرى وهذه المواءمة التدريجية لا يمكن التقليل من أهميتها. أشارت البحوث الدينية أيضاً إلى أن قادة فرق الغلاة والتصوف قد أدخلوا الأذواق الشخصية في تعاليم المسلمين الإيرانيين.

التحليل والنتائج البحثية:

- كان قادة التصوف والغلاة يرون نشر الإباحية والأفكار المنحرفة كوسيلة وحيدة للوصول إلى رغباتهم النفسية، ومن ثم قاموا بنشر الإباحية.
- السبب الرئيسي لانحراف الأفكار واللجوء إلى العقائد الانتقائية هو الجهل والسذاجة.
- بوجود اعتقاد بالتناسخ، أنكر الصوفية والغلاة في إيران أحد المبادئ الثلاثة الأساسية للإسلام.
- بعض التعاليم غير الإسلامية مثل: عدم الاهتمام بالدنيا، وحدة الوجود، التناسخ، الفناء... كانت من المسيحية أو الأديان الشرقية مثل الهندوسية والبوذية.
- الإيرانيون الذين اعتنقوا الإسلام حديثاً قبل اعتناقهم للإسلام كان لديهم غلو حول ملوكهم، واستخدموا هذه المعتقدات المغالية للإمام.
- الأئمة المعصومين عليهم السلام في عدة مناسبات أعلنوا براءتهم من هاتين الفرقتين المنحرفتين وأمروا أتباعهم بالابتعاد عنهما.

- بإنشاء مدعين كاذبين وإنشاء فرق جديدة ودعمها، كان الهدف منها إبعاد المسلمين عن التعاليم الحقيقية للإسلام وإحداث الفتنة.
- أحد أهداف الحكومات من إنشاء الفرق هو خلق الانقسام بين الشيعة في إيران لأن قلوب الشيعة في إيران مليئة بمودة أهل البيت.

الاستنتاجات:

بدأت الخطوات الأولى للانحراف في المذهب الشيعي عندما قام الطامعون في الدنيا بالثورة ضد الولاية والوصاية بعد النبي ﷺ وزرعوا بذور النفاق والانقسام بين المسلمين. ورعى هؤلاء البذور بالنزاع والدماء. كان قادة مثل "عبد الله سبأ" بالغلو، و"حسن البصري" بالتقشف والصوف يرتدي ثياب الزهد والاعتزال، قد رعى التصوف وسرّعوا هذه الانقسامات وأدخلوا هذه التعاليم الدينية الخطيرة إلى المسلمين الإيرانيين الجدد تدريجياً، مما جعلها جزءاً من الثقافة الإيرانية الإسلامية.

كان نهج الأئمة المعصومين عليهم السلام هو الإرشاد والهداية للأفراد، وخصوصاً المنحرفين، وفي بعض الحالات إعلان البراءة منهم. كانوا دائماً يوصون أتباعهم بعدم التعامل مع الغلاة والصوفية المغالية بأي شكل من الأشكال، لأن هؤلاء الجماعات يسعون إلى إفساد المجتمع بأفكارهم الفاسدة.

بالرغم من أن الصوفية والغلاة يعتبرون أنفسهم مسلمين ويتحدثون عن العرفان والعبادة والتدين؛ إلا أنهم تخلوا عن نهج الأئمة المعصومين عليهم السلام وسقطوا في الإفراط والتفريط. في بعض الحالات ابتعدوا عن الناس وارتدوا ملابس مهترئة وصوفية.

في حالات أخرى أصبحوا متأثرين بمعتقدات مثل وحدة الوجود والحلول وابتعدوا عن الأمور العقلية، بينما كان الأئمة الأطهار عليهم السلام في حياتهم يعيشون بين الناس ويرتدون ملابسهم، ويعتبرون أنفسهم عباد الله. كانوا يستخدمون الأسس العقلية والنقلية في استدلالاتهم ويعتبرون التفكير والعودة إلى العقل أكثر أهمية من سنوات عديدة من العبادة.

كان الأئمة الشيعة يفضلون الحضور في المجتمع العلمي على الحضور في تجمع الزهاد ويشجعون أتباعهم على التفكير ويحذرونهم من الإفراط والتفريط. يمكن استنتاج ما يلي

من دراسة تاريخ الأديان في إيران مع الأخذ في الاعتبار الظروف التي أدت إلى ظهور هذه التعاليم:

أولاً: كانت بعض هذه الإفراط والتفريط ناتجة عن تأثير الأديان والمذاهب الشرقية الأخرى، وكان الحكام الإيرانيون يدعمون هذه التغييرات لأغراض سياسية وشخصية.

ثانياً: المحبة القلبية للإيرانيين للأئمة الأطهار عليهم السلام وظلم الحكام بشدة ضد الشيعة جعل الجاهلين من الشيعة يرون في هذه التعاليم ملاذهم الوحيد، ومع مرور الوقت، أصبحت تعاليم مثل وحدة الوجود، الغلو في الأئمة عليهم السلام، الاتباع للقادة المتطرفين والصوفية، الإباحية والانحلال جزءاً من الثقافة الإيرانية الإسلامية.

ثالثاً: استخدم أعداء الشيعة طرق وأساليب مختلفة لإنشاء فرق جديدة، ووجهوا اتهامات بالغلو للشيعة بهدف قمع علماء وقادة الشيعة في إيران والعراق.

رابعاً: قد يكون للغلاة والتصوف ارتباط بالمبادئ الأساسية مع الإمامية، وفي العصور الأولى كانت الروابط الرئيسية بين هذه الفرق والإمامية هي في مسألة الإمامة واستمرار الولاية، لكن بمرور الوقت أصبحوا مغالين وألهوا القادة.

خامساً: رغم أن الغلاة والتصوف في بداياتهم لم يكن لديهم علاقة وثيقة معاً، إلا أن الاختلافات والمشاكل بين المسلمين زادت من قربهم من بعضهم البعض بعد القرن الثالث الهجري. في النهاية، تأثروا بشكل متبادل في تعاليم مثل "وحدة الوجود"، "الاتباع للمرشد"، "الحلول"، و"الغلو في الأئمة" وأصبحوا أقرب إلى بعضهم البعض. باستخدام هذه التعاليم، ابتعدوا بمرور الوقت عن الطريق الحق، واستغلوا أتباعهم لتحقيق أهدافهم.

النتائج المهمة:

١. في هذا البحث، نسعى إلى توضيح العلاقة بين الغلاة والتصوف في إيران وتقديم نظرة جديدة. لم يتم التطرق من قبل إلى العلاقة بين معتقدات هذين الفرقتين.

٢. في هذا البحث، حاولنا توضيح نسبة المعتقدات بين الغلاة والتصوف ليتضح أن هذه

التعاليم ليست من الإسلام النقي المحمدي، وأن هذه الأفكار والمعتقدات تم تصنيفها وتكوينها من قبل فرق تسعى لتحقيق مصالحها الخاصة ولا تهتم بتعاليم الإسلام.

ولقد سعينا في هذا البحث إلى:

أ. اكتشاف العلاقة بين معتقدات الغلاة والتصوف في إيران.

ب. إبعاد التعاليم الانحرافية لهاتين الفرقتين عن التشيع الاعتقادي.

ج. إثبات تأثير التعاليم الصوفية والغلاة من الأديان الشرقية.

اقتراحات للبحوث المستقبلية:

في سياق توضيح التعاليم الحقيقية للإسلام، يجب القيام بالمزيد من البحوث حول الفرق المنحرفة مثل الغلاة والتصوف لتوضيح الشبهات والاتهامات الباطلة التي تنسب إلى التشيع من خلال هذه البحوث. ومن بعض عناوين البحوث المستقبلية ما يأتي:

١. دراسة مقارنة لتعالم التوحيد في الغلاة والتصوف في العراق.

٢. دراسة مقارنة لتعالم الآخرة في الغلاة والتصوف في العراق.

٣. دراسة العلاقات الفكرية بين الغلاة والتصوف في إيران.

٤. تأثير الأديان الشرقية على التصوف والغلاة في إيران.

قائمة المصادر والمراجع

١. آقا نوري، علي، "عرفان المسلمين وشريعة الإسلام"، قم، أديان ومذاهب، الطبعة الأولى، ١٣٨٧ ش

٢. أباذري، يوسف وآخرون، "أديان العالم القديم"، طهران، پژوهشگاه، الطبعة الأولى، ١٣٧٢ ش.

٣. ابن الجوزي، أبو الفرج، "تلبيس إبليس"، ترجمة: عليرضا ذكاوتي قراگزلو، طهران، نشر الجامعة (بدون تاريخ).

٤. ابن منظور، محمد بن مكرم، "لسان العرب"، بيروت، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الأولى، ١٤٠٨م.

٥. ابن النديم، محمد بن إسحاق، "الفهرست"، ترجمة: محمد رضا تجدد، طهران، بنك بازرگاني، ١٣٥٠ ش.

٦. أبو زهرة، محمد، "تاريخ المذاهب الإسلامية"، مترجم: د. عليرضا إيماني، قم، جامعة أديان ومذاهب، الطبعة الثانية، ١٣٨١ ش.

٧. الأشعري القمي، سعد بن عبدالله، "المقالات والفرق"، تصحيح: محمد جواد مشكور، طهران، انتشارات علمي وفرهنگي، ١٣٦١ ش.

٨. الأشعري، أبو الحسن علي بن إسماعيل، "اللمع في الرد علي أهل الزيغ والبدع"، بيروت، دار لبنان، ١٩٨٧ م.

٩. أمين، أحمد، "ضحي الإسلام"، بيروت، دار الكتاب العربي، الطبعة الأولى، ١٩٩٣ م.

١٠. بدوي، عبدالرحمن، "مذاهب الإسلاميين"، بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٧٣ م.

١١. بيدارفر، محسن، "عرفان وعارف نمايان"، ترجمة: "كسر اصنام الجاهلية"، صدرالدين محمد شيرازي (ملاصدرا)، طهران، الزهرا، الطبعة الثالثة، ١٣٧١ ش.

١٢. البيروني الخوارزمي، أبو ريحان، "تحقيق ماللهند"، ترجمة: عليأكبر دانا، طهران، مترجم، ١٣٣٢ش.

١٣. توفيقي، حسين، "آشنائي با اديان بزرگ"، طهران، سمت، الطبعة التاسعة، ١٣٨٥ ش.

١٤. جامي، عبدالرحمن، "نفحات الأنس"، الهند (كلكتا) ليسي، الطبعة الأولى، ٨٨٣ ق.

١٥. شاترجي، ساتيش تشاندرا، "تعريف مكاتب فلسفي الهند"، ترجمة: فرناز ناظر زاده كيرماني، قم، مركز مطالعات وتحقيقات ومذاهب، الطبعة الأولى، ١٣٨٤ ش.

١٦. حامد الصراف، أحمد، "الشبك من فرق الغلاة"، بغداد، الطبعة الأولى، ١٣٧٣ ش.

١٧. حقيقت، عبدالرفيع، "تاريخ جنبش سربداران"، طهران، آزاداندیشان، ١٣٦٠ ش.

١٨. الحلي، محمد، "نقش غلو في انحرافات وعقائد"، قم، زائر، الطبعة الأولى، ١٣٨٦ ش.

١٩. الدهباشي، مهدي، "تاريخ تصوف"، طهران، سمت، الطبعة السادسة، ١٣٨٣ ش.

٢٠. الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان، "سير أعلام النبلاء"، بيروت، دار الفكر، الطبعة الأولى، ١٤١٧ق.

٢١. راداكريشنان، سروبالي، "تاريخ فلسفه شرق وغرب: تاريخ فلسفه غرب"، طهران، انتشارات علمي وفرهنگي، مترجم: يوسفيان، جواد، الطبعة الرابعة، ١٣٩٣ ش.

٢٢. الراغب الأصفهاني، حسين بن محمد بن مفضل، "المفردات في غريب القرآن"، ترجمة: حسين خداپرست، طهران، ١٤٠٤ ق.

٢٣. الزبيدي، محمد مرتضي، "تاج العروس"، بيروت، دار المكتبة الحياة، الطبعة الثانية، بدون تاريخ.

٢٤. زرين‌كوب، عبدالحسين، "ارزش ميراث صوفيه"، طهران، أميركبير، الطبعة السابعة عشرة، ١٣٩٤ش.

٢٥. زرين‌كوب، عبدالحسين، "تصوف إيراني في المنظر التاريخي له"، ترجمة: مجدالدين كيواني، طهران، سخن، الطبعة الأولى، ١٣٨٣ ش.

٢٦. السراج الطوسي، عبدالله بن علي، "اللمع في تصوف"، تصحيح: نيكلسون، ترجمة: مهدي محبتي، طهران، انتشارات أساطير، ١٣٨٢ ش.

٢٧. شكرخدائي، سيد احسان، "عقائد حروفيه"، قم، أديان ومذاهب، ١٣٩٦ ش.

٢٨. الشيبي، كامل مصطفي، "تشيع وتصوف حتى بداية القرن ١٢ هـ"، ترجمة: عليرضا ذكاوتي، طهران، انتشارات أميركبير، ١٣٨٥ ش.

٢٩. الشيرواني، ميرزا زين‌العابدين، "الرياض السياحة"، طهران، سعدي، الطبعة الأولى، ١٣٦٢ ش.

٣٠. صادق زاده قمصري، عليرضا، "تربيت إسلامي"، طهران، تربيت إسلامي، الطبعة الأولى، ١٣٨٠ش.

٣١. الصدر، سيد حسين، "تعاليم تصوف من الأمس إلى اليوم"، طهران، قصيدة سرا، الطبعة الرابعة، ١٣٨٤ ش.

٣٢. صفري فروشاني، نعمت‌الله، "غاليان؛ بحث في الجريانات والنتائج"، مشهد، آستان قدس رضوي، الطبعة الثالثة، ١٣٩٢ ش.

٣٣. العبيدي المقريزي، تقي‌الدين، "الخطط المقريزية"، بيروت، العلميه، الطبعة الأولى، ٨٤٥ ق.

٣٤. عين القضاة الهمداني، عبدالله بن محمد، "تمهيدات"، طهران، أساطير، الطبعة الثالثة، ١٣٩٧ ش.

٣٥. غني، قاسم، "تاريخ تصوف في الإسلام"، طهران، زوار، الطبعة الأولى، ١٣٨٠ ش.

٣٦. الفياض، عبدالله، "تاريخ الإمامية والأوليون حتى القرن الرابع"، ترجمة: حسين زرين‌فام، طهران، باغ انديشه، الطبعة الأولى، ١٣٨١ ش.

٣٧. كريمي، عبدالعظيم، "تأثيرات خفية للتربية الضارة"، طهران، انجمن أولياء ومربيان، ١٣٨١ ش.

٣٨. الكليني، محمد بن يعقوب، "الكافي"، تصحيح وتعليق: علي‌أكبر غفاري، بيروت، دار صعب، ١٤٠١م.

٣٩. لوييسن، برنارد، "الإسماعيليون في تاريخ"، ترجمة: فريدون بدره‌اي، طهران، توس، الطبعة الأولى، ١٣٦٣ ش.

٤٠. ماسيون، لوئي، "قوس حياة منصور حلاج"، مترجم: عبدالغفور روان فرهادي، طهران، درويش، الطبعة الأولى، ١٣٩٣ ش.

٤١. مبلغي آباداني، عبدالله، "تاريخ الأديان والمذاهب العالم"، قم، منطق، الطبعة الأولى، ١٣٧٣ ش.

٤٢. المجلسي، محمدباقر، بحارالأنوار، بيروت، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الثالثة، ١٤٠٣ هـ.

٤٣. المدرسي، محمد تقي، العرفان الإسلامي، قم، دانشوران معاصر، الأولى، ١٤٢٦ هـ.

٤٤. معلوف، لويس، المنجد، بيروت، دار المشرق، الأولى، ١٩٠٧ م.

٤٥. معين، محمد، فرهنگ معين، تهران، أميركبير، العاشرة، ١٣٧٥ ش.

٤٦. المفيد، محمد بن محمد بن نعمان، أوائل المقالات، تحقيق مهدي محقق، تهران، دانشگاه، الأولى، ١٣١٣ هـ.

٤٧. الموسوي البجنوردي، محمد كاظم، دائرة المعارف الكبرى الإسلامية، تهران، مركز دائرة المعارف، ١٣٨٤ش

٤٨. النجاشي، أحمد بن علي، رجال النجاشي (فهرست أسماء مصنفي الشيعة)، قم، بوستان كتاب، الطبعة الأولى، ١٣٩٤ ش.

٤٩. وولكرت، كندال، آئين السيك و الجينة، ترجمة: صادق أبو طالبي، قم، تحقيقات أديان و مذاهب، الأولى، ١٣٨٥ ش.

٥٠. ويتمن، سيمون، آئين الهندو، ترجمة: علي موحديان عطار، قم، مركز دراسات أديان و مذاهب، الثانية، ١٣٨٢ ش.

٥١. همايوني، مسعود، تاريخ سلسلههاي نعمت اللهية في إيران، تهران، مكتبة عرفان إيران، ١٣٨٥ش.

٥٢. هوكينز، برادلي، آئين البوذا، ترجمة: محمد رضا بديعي، تهران، أميركبير، الطبعة الأولى، ١٣٨٤ش.

٥٣. اليثربي، سيد يحيى، العرفان النظري (تحقيق في السير التكاملي و أصول و مسائل التصوف)، قم، بوستان كتاب، الطبعة الأولى، ١٣٩٢ ش.

٥٤. يوسف بور، محمد كاظم، لغة الرموز في آثار الحلاج، بحوث في الأدب العرفاني، السنة العاشرة، العدد ٢، خريف ١٣٩٥ ش.